

# علاقة الوحي بالتاريخ

ولهي حمته  
باحث جزائري



قسم الدراسات الدينية

## مقدمة:

يحتل موضوع الوحي حيزاً صغيراً ضمن منظومة فكرية عملاقة كانت تهيمن على العالم القديم إلى غاية عصر النهضة الأوروبية، لذا فإن دراسة هذا الموضوع أو المبحث يجب أن تتم داخل تلك المنظومة ومن خلالها، ذلك أن عملية العزل تؤدي إلى فقدان الموضوع لمرتكزاته وعلاقته داخل المنظومة. إن عملية البتر التي يقوم بها بعض الدارسين لمبحث الوحي ثم جره ليدرس وفق الأسس والمناهج المعاصرة؛ أي إقحامه داخل المنظومة الفكرية الحديثة والمعاصرة تؤدي بالضرورة إلى اغتراب الموضوع والحكم عليه تالياً بالغموض أو التهافت.

نحن في بحثنا هذا، نود أن ندرس الوحي، وهو في محيطه الطبيعي بمحدداته الفلسفية والفكرية والأسطورية والثقافية بصفة عامة. يعني هذا أننا ننقد الوحي ونبرز الإشكاليات التي أفرزها داخل منظومته - حتى لا نحاكم الماضي بالحاضر - ثم بعد ذلك نتوسل بالمناهج الحديثة، لنرى إن كان الوحي يملك من المقومات ما يؤهله للاندماج في المنظومة الحديثة كما يعتقد الكثير من المؤمنين، أو أنه ابن بينته يقوم بوجودها وينتفي بعدمها.

إن ما يسهل هذه الدراسة هو كون العالم الإسلامي ما زال مهيمناً عليه من طرف المنظومة التقليدية؛ أي أن موضوع الوحي ما زال معاشاً ومؤثراً، ما يجعل تعقله وفهم إشكالياته في المتناول. غير أن هناك صعوبة تقابلها هي محاولة خلخلة تلك المنظومة وإبراز مواطن الخلل والانسداد فيها، ما يعد خطوة غير مقبولة أو على الأقل استفزاز لمشاعر الجماهير الواسعة، لكن لا بد من القيام بهذا العمل.

## 1- منظومة العالم القديم:

سوف لا نتناول كل العالم القديم، بل سنركز على الحيز محل الدراسة، والذي يمثل بلاد فارس واليمن وشبه الجزيرة العربية صعوداً إلى بلاد الشام وبيزنطة، ثم نمر عبر بلاد اليونان فروما ومصر. هذا الحيز هو الذي تبلورت فيه المنظومة الفكرية السالفة الذكر، من خلال حركات الهجرة والحروب والتوسع، وما يتبع ذلك من امتزاج الثقافات والأديان، وأيضاً حركة التجارة متمثلة في طريق الحرير والتبادلات التجارية المحلية. ويمكن القول إن مدينة الإسكندرية، تلك المدينة العالمية المتعددة الأجناس والثقافات، شكلت في القرن الأول للميلاد النواة الأولى لتلك المنظومة بعد امتزاج ديانات الشرق وثقافته بفلسفة اليونان،<sup>(1)</sup> حيث برز فيها

<sup>1</sup> - أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، الأهلية للنشر والتوزيع القاهرة ص ص 280-294. وانظر أيضاً: ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة اليونانية، ص ص 292-301





ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله... وأن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات: (ف) ليس كمثله شيء، رد على الممثلة المشبهة، وهو السميع البصير رد على النفاة المعطلة؛ فمن جعل صفات الخالق، مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم).<sup>(9)</sup>

إن هذا التسليم من جانب أهل السنة والجماعة لما جاء في القرآن، قابلته ردود كثيرة من طرف باقي الفرق تتراوح ما بين مؤيد لما جاء به القرآن مع السعي لتبريره، وبين مؤول وآخر منكر فيما يتعلق بالذات أو الصفات. غير أننا لا نورد إلا ما يخص موضوعنا الذي هو الوحي، بالتالي سوف نركز على صفة الكلام، والتي يرتبط نزول القرآن يفهم ماهيتها وكيفياتها ودرجاتها إن وجدت.

طبعاً أهل السنة والجماعة يقرون بكون الله متكلم لورود ذلك في الشرع، لكن صفة الكلام هاته لا يعلم كيفيتها إلا هو، فيجب الاكتفاء بالتسليم لدلالة هذا الفعل على صحة الإيمان وقوته. وقد أنكر عليهم الفخر الرازي هذا التسليم، وركز على الحنابلة بصفة خاصة<sup>(\*)</sup>. أما العقلاء من الناس - كما يصفهم - فقد اتفقوا على أن الكلام المشكل من الحروف والأصوات كائنة بعد أن لم تكن، وحاصلة بعد أن كانت معدومة. لكن اختلفوا في القول أنها مخلوقة في جسم كما يرى المعتزلة، أم حادثة وقائمة بذات الله كما يرى الكرامية، أو كما يزعم الأشاعرة من أن كلام الله صفة قديمة منزهة عن الحرف والصوت (الكلام النفسي). ويورد الرازي رأياً لأبي منصور الماتريدي يراه قريباً من رأي المعتزلة<sup>(10)</sup>، والماتريدي عموماً تذهب على أن كلام الله لا يسمع، إنما يسمع ما هو عبارة عنه، فموسى، إنما سمع صوتاً وحرفاً خلقها الله دالة على كلامه.<sup>(11)</sup> إن هذا التفصيل في ذات الله وصفة من صفاته (وهي الكلام) نجده ضرورياً لتوظيفه في مناقشة إشكاليات البنية التواصلية التي سنتعرض لها في الصفحات التالية.

**2. الملك جبريل:** ويشغل الطبقة الانطولوجية الثانية، وهو مخلوق نوراني لقول الرسول (ص) في حديث أخرجه مسلم في صحيحه، يقول: "خلق الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار".<sup>(12)</sup> هاته الطبيعة تؤهله للانتقال بين الطبقتين، وبالتالي امتلاكه لصفات وخواص تمكنه من ذلك. لكن هل هذا ممكن؟ يقود هذا التساؤل إلى طرح مشكلة الاتصال في البنية الفكرية للعالم القديم السالف الذكر.

<sup>9</sup> - شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، مؤسسة الرسالة، ص 57

<sup>(\*)</sup> يمكن الرجوع إلى مناقشة الرازي بنوسع في: التفسير الكبير، ج 27، ص ص 138-146

<sup>10</sup> - الفخر الرازي، التفسير الكبير، التزام عبد الرحمان محمد، القاهرة، ص 144

<sup>11</sup> - أحمد بن عوض الله الحربي، مصدر سابق، ص 499

<sup>12</sup> - نقلا عن جابر الجزائري أبو بكر، عقيدة المؤمن، ص 14

إذا كان أفلاطون قد سلم أو صادر على المطلوب في هذه القضية نظراً لتكوينه الهجين ومناخ الإسكندرية الذي سمح بتعايش الثقافات المختلفة والمتناقضة أحياناً، ما انعكس على فكره وجعله يتقبل كل ما هو غامض ومشوش ومتناقض، فإن أسلافه من الفلاسفة قد أرهقهم هذا الأمر - أي مشكلة الاتصال - وبذلوا جهوداً مضنية لحلها، إذ نجد أفلاطون بعد أن قسم الوجود إلى حقيقي حده بعالم المثل، ووجود زائف أو مجرد ظلال متمثلاً في الطبيعة أو عالم الإنسان. ولم يلق في ذلك عناء كبيراً إلا فيما يتعلق بكيفية الاتصال أو الترابط بين المثل بعضها ببعض أو بين المثل ونسخها الأرضية. إن الجدل النازل هو الحل عند أفلاطون، لكنه يعترف أن بعض المثل فقط يمكنها أن تترايط دون أن يبين نوع الترابط.<sup>(13)</sup> هذا يخص المثل فيما بينها، أما اتصالها مع نسخها، فهو أمر عجز عن إيجاد حل ملائم له، فلجأ إلى اللغة الشعرية، حيث افترض واسطة على شكل كرة تربط بين المثل ونسخها.<sup>(14)</sup> جاء تلميذه أرسطو وتصدى للمشكلة بأن عوض الجدل بالمنطق، وبدل مفارقة المثل الكلية لنسخها، فإن الكلي المطلق عند أرسطو لا يوجد بمعزل عن الجزئي؛ أي أن الكلي ليس مفارقاً، بل هو حال في النسخ أو الأفراد.<sup>(15)</sup> ولمعرفة كيفية الاتصال يكفي الاستعانة بالمنطق ومقولاته ومبادئه للعقل وأقيسته. إن منطق أرسطو حقق المطلوب بدقة إلا ما تعلق بالمحرك الذي لا يتحرك؛ فقد فصله عن العالم واستثناه من منطق ما يترتب عن ربطه أو إيصاله من مشكلات تكاد تعيد ما طرح عند أفلاطون. إذن، فالمشكلة الأساسية بقيت دون حل.

إن الغرض من مناقشة مشكلة الاتصال هو اختصار الطريق عند مناقشة مشكلة التواصل.

**أ.3. النبي (الرسول):** إذا كان الأشاعرة ومن بعدهم أهل السنة والجماعة حتى يومنا هذا، يفرقون بين النبي والرسول، فإننا نأخذ برأي المعتزلة الذي يوحد بينهما، إذ ما الهدف من النبوة غير تبليغ الناس رسالة السماء وهدايتهم.<sup>(16)</sup> والمقصود هنا هو محمد بن عبد الله الذي نشأ وشب يتيماً فقيراً راعياً للغنم، وعمل في التجارة واتصف بالصدق والأمانة، وتزوج خديجة بنت خويلد، وتحنت وتحنف زمناً، حتى أتاه الوحي في غار حراء.

هذه اللمحة تبين بشرية النبي، فهو إذن ينتمي إلى الطبقة الثالثة - أي الإنسان - وقد عرفه الأشاعرة بأنه مخلوق كسائر مخلوقات الله فهو خاضع لإرادته ومشيتته، وحتى أفعاله مخلوقة، وما عليه إلا اكتسابها وفق

<sup>13</sup> - جول تريكو، المنطق الصوري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، ص ص 32-33

<sup>14</sup> - ولترستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ص 167-170

<sup>15</sup> - جول تريكو، المصدر السابق، ص 68

<sup>16</sup> - شايب لخضر، نبوة محمد في العصر الاستشراقي المعاصر، مخطوط رسالة الدكتوراه، ص 3



أرقى صورة من حيث اللفظ والتراكيب والأسلوب، وأيضاً من حيث المضمون. أما الماتريديّة، فذهبت إلى أن كلام الله لا يسمع، وإنما يسمع ما هو عبارة عنه، ويخلق الله لها صوتاً وحروفاً.<sup>(21)</sup> نشير إلى أننا لا نود أن نوسع النقاش، ليشمل الشيعة والمتصوفة والفلاسفة، ذلك حتى نبين أن هناك فعلاً إشكاليات داخل فكر أهل السنة والجماعة، وليس مجرد جدل عقيم ومحاجبات الهدف منها الانتصار للمذهب لا غير. إذن، فالتواصل بين المرسل والرسول والمرسل إليه تعترضه إشكاليات، حاول علماء الكلام إيجاد المخارج لها، فعوضوا "الخلق" بـ "التواصل" دون أن ينتبهوا إلى أنهم أعادوا المشكلة إلى البنية الأنطولوجية، حيث يعد الخلق مرادفاً للاتصال. أما وقد فصلنا القول في أن الاتصال محال وجودياً، فالتواصل كفعل يستحيل هو أيضاً.

**ب. لغة التواصل:** يقر أهل السنة والجماعة بأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، بمعنى أن الله تكلم بالعربية إلى جبريل أو أنه دون القرآن في اللوح المحفوظ باللغة العربية قطعاً، وقام جبريل بالقراءة منه بعد أن أفهمه الله، ثم نقله إلى النبي محمد بن عبد الله.<sup>(22)</sup> هذا الرأي الذي يجعل اللغة العربية أزلية، يجد من يعارضه من علماء اللغات واللسانيات والفيلولوجيا، ذلك أن اللغة البشرية تاريخية المنشأ، بدأت على شكل أصوات وإشارات وانتهت إلى ما هي عليه الآن<sup>(23)</sup>، واللغة العربية ليست استثناءً بالطبع. بهذا لا يمكن لأكثر الآراء وجهة ومنطقاً، وهو رأي المعتزلة أن يصمد طالما افترضوا أن الخلق للغة كان في أحسن تقويم؛ أي لم تخضع للتطور. وللتفصيل أكثر، فإن اللغة العربية هي لغة الحجاز (وكانت قبل الإسلام لغات عدة تعرف بلغات القبائل، وبينهما اختلاف في اللفظ والتراكيب كلغات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها).<sup>(24)</sup> وقد نمت بفعل حركة التجارة إلى الشام والعراق ومصر وبلاد اليمن وبلاد فارس، فضلاً عن دور الكعبة في اجتماع الأمم المختلفة كالفرس والأنباط واليمنيين والأحباش والمصريين، إضافة إلى اليهود والنصارى<sup>(25)</sup>، ما ساهم في ثراء اللغة ودخول الألفاظ الأعجمية وتعريبها. هذا عن الصوت، أما الحرف فهناك من ذهب إلى أن الخط العربي انبثق عن الخط المسند الحميري، ورأي آخر يرى أن الكتابة العربية هي استمرار وتطور للكتابة النبطية التي انحدرت من الكتابة الأرامية المتطورة عن الفينيقية.<sup>(26)</sup> أما بعد الإسلام فمعروف ما قام به أبو الأسود الدؤلي والفراهيدي من تنقيط وشكل حتى تسهل قراءتها بعد شيوع اللحن.

21- المصدر السابق.

22- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، نقلاً عن نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، ص 48

23- ر.ه روبنزن موجز تاريخ اللغة في الغرب، سلسلة عالم المعرفة رقم 277

24- جزلي زيدان تاريخ أدب اللغة العربية، ج 1، سلسلة الأنيس-الجزائر، ص ص 59-60

25- المصدر السابق.

26- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة بيروت- لبنان، ص 25



إذن اللغة العربية ذات منشأ أرضي، بتعبير آخر هي محدثة متطورة نسبية، يعني هذا انتفاء التواصل اللغوي، والذي يتسق تماماً مع انتفاء الاتصال الأنطولوجي.

**ب.3. محتوى الوصل (الرسالة):** على الرغم من الطابع الديني الوثوقي للقرآن، إلا أن محتواه لا يتعدى المحاور الثلاثة التي كانت تحكم المنظومة الفكرية للعالم القديم، نقصد الأنطولوجيا، والمعرفة، والقيم. دليل ذلك أن آيات القرآن يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى، تتضمن إخباراً عن الغيب والخلق ومراتب الوجود. أما المجموعة الثانية، فحواها دعوة إلى أعمال العقل والنظر في الوجودات والتدبر، ليس طلباً للحقيقة بالمعنى الفلسفي، وإنما فقط لتأكيد وتثبيت ما ورد في القرآن. أما المجموعة الثالثة، فهي تشتمل على منظومة القيم والأحكام العملية والقصص الذي يهدف إلى الاعتبار. بهذا يمكن القول إن رسالة القرآن هي رسالة للعالم القديم، ساهمت في حركيته وسيروته. أما ما يستفاد منها لحاضرنا، فسنطولى مناقشته فيما يلي:

### 3- الوحي: تاريخ من الإنجازات والإخفاقات

يعلن القرآن من خلال مضمونه أو من خلال حامله، أنه رسالة السماء الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، والتي تضمن لحاملها السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة. غير أن تتبع تاريخ هاته الرسالة يكشف خفايا وخبايا، ظلت لقرون عديدة ضمن المسكوت عنه حسب تعبير محمد أركون؛ أي ضمن اللامفكر فيه أو مستحيل التفكير فيه. اليوم ونحن نستلهم من الغرب المنظومة الفكرية للعالم الحديث والمعاصر، ونسعى كعالم إسلامي للتخلص والتحرر من المنظومة القديمة – وهذا ما يقتضيه منطق التاريخ- يمكننا أن نفكر ونحفر ولا نسكت، فنقول: إن الوحي (القرآن) هو مشروع مجتمع فرضته ظروف محلية ودولية على امتداد القرن السادس الميلادي في أرض الحجاز.

قبل ذلك، كانت العصبية هي التي تحكم العرب وتربط بينهم، وتجسد ذلك في شكل بناء قبلي سمح لهم أن يعيشوا في ظله قروناً عديدة حتى أوائل القرن السادس. وأهم ما يميز القبيلة هو قيامها على وحدة الدم والنظام الأبوي واستقلالها السياسي والاجتماعي، مما يجعلها منفصلة ومنعزلة عن محيطها ومنغلقة على نفسها، الشيء الذي يشكل عائقاً أمام التقدم والتطور.<sup>(27)</sup>

<sup>27</sup>- إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار البقعة العربية- بيروت، لبنان، ص ص 58-59

بداية من القرن السادس، طرأت ظروف محلية وعالمية جعلت البناء القبلي يهتز، من أهمها انهيار سد مأرب الذي أحدث أضراراً بالغة باقتصاد اليمن وتبعه احتلال الأحباش لها، فاضطربت الأحوال وانحسر النفوذ السياسي لليمن.<sup>(28)</sup> وبما أن شبه الجزيرة تقع في قلب العالم القديم، حيث تمر منها الطرق البرية والبحرية العالمية الرئيسية التي تربط بين الشرق والغرب، وبما أن الحجاز هي المنطقة الأكثر إستراتيجية في شبه الجزيرة، إذ يمر عبرها وبموازاتها طريقان رئيسان من طرق التجارة العالمية آنذاك: الطريق الأول البري الذي تسلكه القوافل بين اليمن والشام عبر الطائف ومكة ويثرب، وتتفرع منه شرايين تتجه صوب الشرق والشمال الشرقي، والثاني طريق البحر الأحمر الموصل إلى الهند وجنوب شرق آسيا، ولذلك كان الحجاز جسر يربط بلاد الشام وحوض البحر المتوسط باليمن والحبشة وشرق إفريقيا والبلاد المطلة على المحيط الهندي.<sup>(29)</sup>

استغل العرب هذا الوضع - أي انهيار الوضع في اليمن - وقاموا بمهمة الوسيط بنقل التجارة من اليمن وسواحل إفريقيا الشرقية إلى أسواق فلسطين، وحملوا تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن، وبذلك حصلوا على أموال طائلة. وبما أن التجارة تقتضي علماً بالسياسة العامة والعلاقات التجارية، سعى المكيون خاصة - نظراً لمكانتهم لدى العرب - لفهم العلاقات بين فارس والروم، وبين اليمن والحبشة، ومعرفة أحوال هذه الأمم السياسية والاجتماعية والأدبية، مما كان له أثر كبير في تثقيف عقولهم ورفي مداركهم، حتى وصلوا إلى مستوى فكري يؤهلهم لاستيعاب المشروع القادم.<sup>(30)</sup>

في شمال الجزيرة حدث شيء مشابه، حيث نشبت حرب بين عرب الحيرة والغساسنة، ودامت مدة انتهت بموقعة "عين دباغ" التي قتل فيها ملك الحيرة سنة 570م. وتبع هذا اضطراب في الحكم ودب الضعف في دولة المناذرة، فاستغل المكيون ما حدث وأيضاً العداء بين الفرس والروم، وتولوا التجارة مع الفرس من جهة والروم من جهة أخرى.<sup>(31)</sup>

يتساءل أحمد أمين، بعد كل ما حدث (أترى أن هذه التجارة تقتصر على تبادل العروض والنقود ولا تتعداها إلى الأمور المعنوية والأدبية؟ لسنا نرى ذلك، بل نرى أن العرب استفادوا فوق تجارتهم المادية شيء من مدنية الروم والفرس وأدبهم).<sup>(32)</sup> أضف إلى ذلك، أن أهل الحيرة، ونظراً لاتصالهم بالفرس وتعلم لغتهم، فقد نقلوا حضارة الفرس وثقافتهم وأدبهم إلى العرب، حيث كانوا يجوبون أرجاء الجزيرة العربية بالتجارة

28- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، دار الجيل، بيروت، ص 12

29- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، دار الجيل، بيروت، ص 12

30- المصدر السابق، ص 56

31- المصدر السابق، ص 35

32- أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ص 16

ويشتغلون بتعليم القراءة والكتابة، كما ساعدوا على نشر النصرانية في بلاد العرب، حيث تعد نجران أهم معقل لها. أيضاً، انتشرت اليهودية في جزيرة العرب وتكونت فيها مستعمرات يهودية، ونشر اليهود تعاليم التوراة وما جاء فيها من تاريخ الخلق والبعث والحساب وما يحيطها من أساطير وقصص.<sup>(33)</sup> هناك شيء يلفت الانتباه هو ما ذكره القفطي في كتابه "أخبار الحكماء" من أن الحارث بن كلدة من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس، وأخذ عنهم الطب وجاد في هذه الصناعة واشتهر بين العرب. ثم تجد حديثاً لابن أصيبعة في كتابه "طبقات الأطباء" أن النضر بن الحارث بن كلدة بن خالة النبي -لاحظوا صلة القربى- اجتمع مع العلماء والأفاضل بمكة وغيرها وعاشر الأحرار والكهنة، واشتغل وحصل من العلوم القديمة الشيء الكثير، واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء من الحكمة وتعلم من أبيه الطب أيضاً.<sup>(34)</sup> أيضاً الإشارة التي وردت في كتاب مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد من أن زيد بن عمرو بن نفيل كان من الأحناف، ورفض شعائر العرب وشرائعهم، وكان يطلب دين إبراهيم، فلم ينتصر أو يتهود. هذا الحنفي قد التقاه النبي وتحدثا في أشياء تخص شعائر العرب، منها الذبح على النصب. والحادثة نقلها الكاتب عن البخاري.<sup>(35)</sup> نضيف كذلك ما ورد في البخاري عن عائشة في بدء الوحي من أن خديجة انطلقت بالنبي إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر قبل الإسلام، ويكتب العبرانية ويقرأ الإنجيل.<sup>(36)</sup>

إذن، فالعرب لم يكونوا معزولين عن العالم، والنبي لم يكن معزولاً عمن حوله؛ فطريقة العزل التي تبناها كاتبو السيرة كان الغرض منها إثبات صحة الوحي عن الله، وإلا من أين لشخص أمي معزول يعيش في جزيرة معزولة أن يأتي بمشروع متكامل. نحن نقول أن النبي الذي ولد سنة 571 م؛ أي بعد عام فقط من معركة "عين دباغ"، قد نشأ وشب في ظل التحولات العظيمة التي كانت تحصل، وبلور مشروعه بتأثير من ظروف نشأته الخاصة كونه يتيم وفقير من جهة، وينتمي إلى بني هاشم الذين أسندت لهم المهام الدينية، ومن جهة أخرى تأثر بالتدفق التجاري والفكري والثقافي على أرض الحجاز.

لقد جاء النبي بمشروع مجتمع طموح، يهدف إلى الوحدة والأخوة والعدالة الاجتماعية والسلام. وطبعاً، وفق المنظومة الفكرية للعالم القديم، فقد تبني بصدق فكرة النبوة والوحي ودافع عنها ليمرر مشروعه من جهة، وينافس المشاريع السابقة. ننبه إلى أننا لا نعاود مناقشة ظاهرة الوحي من وجهة النظر التاريخية والثقافية، إلا أننا نحيل إلى كتاب مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد، فقد ناقش أسباب النزول والمكي والمدني والناسخ

33- حسن إبراهيم حسن، المصدر السابق، ص 64

34- أحمد أمين، المصدر السابق، ص 133

35- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، ص 69

36- منار القارئ في شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ص 42

والمسوخ وأفاض في ذلك<sup>(37)</sup> غير أننا لا نتبنى موقفه الوسطي من كون الوحي رسالة السماء جاءت لتحل مشكلات العرب، لكن بأدواتهم، وهو موقف قريب مما قرره المعتزلة، نحن ننفي أية إمكانية حدوث ذلك تبعاً لما قرناه سابقاً من استحالة الاتصال.

إن المشروع النبوي أخذ في اعتباره كل التطورات والاحتياجات والآمال التي راودت العرب في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، وقد نجح في فرض مشروعه<sup>(38)</sup> مستعيناً بعلاقاته الشخصية وقيم القبلية والتحالفات، خاصة مع الأوس والخزرج الذين كانوا في أمس الحاجة إلى زعيم وقائد يوحدهم ويواجهون من خلاله التحديات المفروضة عليهم. غير أن التاريخ علمنا أن هناك بونا شاسعاً بين المشاريع وبين تطبيقها في الواقع. إذ بعد وفاة النبي مباشرة - ومثله في ذلك الكثير من الأمثلة في التاريخ من اهتزاز المشاريع مباشرة بعد وفاة الزعيم- بدأ الصراع حول الخلافة بداية من حادثة السقيفة، حيث تصارع المهاجرون والأنصار حول من يملك أحقية الخلافة<sup>(39)</sup>، إلى انحراف عثمان بن عفان عن المشروع النبوي وإحيائه للقيم القبلية بتوليته أقربائه في مناصب الحكم وإجزال العطاء لهم، ما أثار سخط الجماهير العاطلة بسبب توقف الفتوحات، فأدى ذلك إلى قتله<sup>(40)</sup>، ثم ما حدث في خلافة علي بن أبي طالب متمثلاً في معركة الجمل بين علي وعائشة، ثم معركة صفين بين علي ومعاوية، وما نتج عنها من خسارة ما يقارب خمسة عشر ألف من المسلمين فيهم الكثير من الصحابة. وبعد تحول الملك إلى الأمويين، كاد المشروع النبوي أن يندثر بسبب عنصرية بني أمية وإحيائهم للقيم العربية قبل الإسلام، تلاهم العباسيون الذين استسلموا لواقع الحال وما يقتضيه، فما بقي من المشروع غير شعارات ترفع وشعائر تؤدي وأحلام بعودة الماضي المجيد الذي نرى أنه مضى وانتهى ولن يعود.

<sup>37</sup>- انظر: نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، ص: 62/50/47/38/29

<sup>38</sup>- سليم أبو طال سليم، أثر المتغيرات الاقتصادية على الفكر الإسلامي، مكتبة الإشعاع الفنية- القاهرة، ص 65

<sup>39</sup>- احسان النص، المصدر السابق، ص ص 186-187

<sup>40</sup>- سليم أبو طالب سليم، المصدر السابق، ص 74

## خاتمة:

يمكن القول، إن المنظومة الفكرية للعالم القديم كانت ترحب بالوحي وتتقبله بصدر رحب كونه يسهم في تفعيل حركية العقل والمجتمع والتاريخ، بغض النظر عن نجاحاته وإخفاقاته. أما اليوم فالمنظومة الفكرية الحالية لا تحتاج إلى الوحي، أو على الأقل يمكن القول إن ضرره أكبر من نفعه، يظهر ذلك في ما يسمى الربيع العربي والدعوات الطوباوية لتطبيق الشريعة وما يترتب عنها من تطرف واحتكار للحقيقة وتكفير.

نريد أن ن فكر بحرية ونطرح المشاريع التي تستجيب لتحدياتنا... ببساطة، إن البيت القديم قد تصدع، وهو آيل للسقوط، فلنبن بيتاً جديداً.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun\_sm



Mominoun

الرباط – المملكة المغربية  
ص.ب : 10569  
هاتف: 00212537779954  
فاكس: 00212537778827  
info@mominoun.com  
www.mominoun.com